الاحزاب مع الحزب الشيوعي الاسرائيلي، وخاصة الحزب الشيوعي الفلسطيني، والاردني، والسوري.

○ ان ظاهرة انبثاق حزب شيوعي من مجتمع مستوطنين ومهاجرين صهيونيين يسعون الى اقامة دولة من عنصر واحد، والصراع المستمر بين نزعة التمسّك بالمشروع الذي نشأ الحزب وترعرع في حاضنته، ومحاولات الانعتاق منه، والالتحاق بحركة تحرر السكان الاصلية، ممّا أدّى، في كثير من الاحيان، الى تذبذب قيادة الحزب، وانتقالها من موقف الى نقيضه، تعتبر ظاهرة فريدة تستحق الدرس.

الكتاب، في الاصل، دراسة أكاديمية، تقدّم بها المؤلف الى قسم العلوم السياسية في جامعة ريدينغ، في بريطانيا، في العام ١٩٨٦، وحصل عليها على درجة الدكتوراه.

اقسام الكتاب

يتألف الكتاب من احد عشر فصلاً. تناول الاول منها خلفية الحزب التاريخية، منذ تأسيس الحزب الشيوعي الفلسطيني، وعقد مؤتمره الموحّد سنة ١٩٢٣، مروراً بما واجهه من احداث، كان ابرزها ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩، وانقسام الحزب، في أواخر العام ١٩٤٣ وأوائل العام ١٩٤٤، عندما تمكّنت مجموعة ميكونس من اجتذاب غالبية الشيوعيين اليهود، بينما اجتذبت مجموعة فرح ـ توما ـ حبيبي معظم الشيوعيين الفلسطينيين، وقامت بتنظيمهم في عصبة التحرر الوطني، وانتهاء بالتعرّض الى المؤتمر العاشر للحزب، في العام ١٩٤٦، واعلانه ضرورة اقامة دولة ثنائية القومية، عربية ـ يهودية ديمقراطية مستقلة في فلسطين. واستخلص المؤلف، في نهاية الفصل، «ان الحزب الشيوعي الفلسطيني الجديد غيّر، منذ تأسيسه في المؤتمر العام الثامن، سياساته، وتحرّك ببطء، باتجاه الصهيونية. وأدّت به التغييرات المتواصلة في مضمون سياساته، في نهاية أيار [مايو] ١٩٤٧، الى تغيير اسمه من ' الحزب الشيوعي الفلسطيني' الى ' الحزب الشيوعي الارض ـ اسرائيلي' ، وبدأ يذكر فلسطين باسم ' ارض ـ اسرائيل' ، ويذكر الشعب الفلسطيني باسم عرب ارض ـ اسرائيل. وعندما قامت دولة اسرائيل، غيّر الحزب اسمه مرة أخرى، ليصبح الحزب الشيوعي الاسرائيلي» (ص ٢٠).

أمّا الفصل الثاني، فقد كرّسه الباحث للتعرّض الى خصوصية المسألة القومية الفلسطينية، وذلك عبر ايجاز واضح، ومفيد، لينتقل، اثر ذلك، الى درس موقف «الحزب الشيوعي الاسرائيلي» الرافض لقرار الامم المتحدة الخاص بتقسيم فلسطين، والصادر في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧، الى كون التقسيم «خطة بريطانية قديمة، ولأن الامبرياليين يتآمرون ليحدثوا انقساماً بصدد تخطيط الحدود، ولأنه يشجّع القوى الرجعية بين العرب واليهود» (ص ٤٠). الاّ ان موقف الحزب هذا سرعان ما تغيّر بعد الثالث عشر من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٧، عندما خطا مندوب الاتحاد السوفياتي في الامم المتحدة، تسارابكين، خطوة نهائية باتجاه تقسيم فلسطين، عندما صرّح «بأن الظروف الراهنة، التي تدهورت فيها العلاقات بين العرب واليهود، وصلت الى هذا الحدّ من التوتّر، ويبدو ان مشروع الاقلية لا يمكن تنفيذه؛ ومن ثمّ، فان الحاجة تقضي بقبول مشروع الاغلبية». وبعد صدور التصريح السوفياتي ببضعة أيام، أصدر الحزب بياناً تبنّى فيه الخط السوفياتي الجديد. وعزا الحزب فشل اقامة دولة يهودية ـ عربية مستقلة «الى نجاح سياسة فرّق تسد الامبريالية، واثر السياسة الشوفينية لدى الزعامة العربية، واليهودية، على الجماهير، وضعف القوى التقدمية النسبي في أوساط الشعبين» (ص ٤٢).

وأوضح المؤلف ان الحزب الشيوعي الاسرائيلي لم يفسّر الاسباب التي دعته الى التخلّي عن قرار التقسيم والمطالبة باقامة الدولة العربية بموجبه. ورجّح، من جهته، ان بضعة اسباب اثّرت في موقف الحزب، فغيّرت سياسته تدريجياً، هي: اولاً، تأثّره بالايديولوجية والسياسة الصهيونية؛ ثانياً، ان مطلب اقامة الدولة العربية لم يكن، أصلاً، في موقف الحزب، بل كان على هامش موقفه من اسرائيل؛ ثالثاً، اعتبار الصراع العربي ـ الاسرائيلي صراعاً بين دول: دولة اسرائيل، من جهة، والدول العربية، من جهة أخرى؛ وتجاهله، شيئاً فشيئاً، لبّ